

# محاسبة النفس ضرورة ملحة

بقلم  
عبدالله بن محمد  
العسكر  
تقديم فضيلة الشيخ  
الدكتور  
ناصر بن سليمان العمر

(1)

## تقديم

بقلم فضيلة الشيخ الدكتور/  
ناصر بن سليمان العمر  
بسم الله الرحمن الرحيم  
قال سبحانه ( يومئذ تعرضون لا  
تخفى منكم خافية ) . وقال  
سبحانه : ( فأما من أوتي كتابه  
بيمينه \* فسوف يحاسب حسابا  
يسيرا \* وينقلب إلى أهله مسرورا \*  
وأما من أوتي كتابه وراء ظهره \*  
فسوف يدعو ثبورا \* ويصلى  
سعيرا ) . وقال سبحانه : ( ووضع  
الكتاب فترى المجرمين مشفقين  
مما فيه ويقولون يا ويلتنا مال هذا  
الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا  
أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا  
يظلم ربك أحدا ) . ورد عن النبي  
صلى الله عليه وسلم أنه قال : "  
لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى  
يسأل عن أربع : عن عمره  
فيما أفناه ، وعن شبابه فيما أبلاه ،

وعن علمه ماذا عمل به ، وعن ماله  
من أين اكتسبه ، وفيم أنفقه " رواه  
الترمذي .

هذه الآيات وهذا الحديث تدلُّ  
على عظمة الهول  
وفداحة الخطب ، وأن الأمر جِدُّ لا  
يَقْبَلُ التسويف والتأجيل .

ومن هنا جاءت هذه الرسالة  
القيِّمة التي سطرَّتها يراعة أخي  
الكريم / عبدالله بن محمد العسكر  
الموسومة بـ ( محاسبة النفس :  
ضرورة ملحة ) . وقد ألفيتها جيِّدة  
في بابها ، مجوِّدة في تبويبها ،  
سلسة بأسلوبها ، مختصرة في  
جملها وكلماتها . جاءت في وقتها  
، والناس بأمسِّ الحاجة إلى مثلها  
. فجزاه الله خيراً . ونحن بحاجة  
إلى هذه اللفتات الإيمانية  
التربوية ، في زمنٍ كثر فيه الخلل  
والخلل ، واسـتـتـحـكـمت في

الشبهة والشهوة ، إلا من رحم  
ربي . أنصح بقراءتها وتوزيعها  
والإفادة مما جاء فيها . وصلى الله  
وسلم على نبينا محمد وآله  
وصحبه .

وكتب

ناصر بن

16/10/14

سليمان العمر

مقدم

هـ

الحمد لله رب العالمين ،  
والعاقبة للمتقين وأشهد أن لا إله  
إلا الله وليُّ الصالحين ، وأشهد أن  
محمدًا عبده ورسوله ، إمام  
المتقين ، وقائد الغرِّ الميامين ،  
وعلى آله وأصحابه والتابعين ، ومن  
تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ،  
وسلم تسليما كثيرا . أما بعد :  
فالنفس بطبيعتها كثيرة  
التقلب والتلون، تؤثر فيها  
المؤثرات، وتعصف بها الأهواء  
والأدواء، فتجرح لها وتنقاد إليها،  
وهي في الأصل تسير بالعبد

إِلَى الشَّرِّ كَمَا قَالَ تَعَالَى ( إِنَّ  
النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَجَمَ  
رَبِّي ) [يُوسُفُ: 53]، وَلِذَا؛ فَإِنَّ  
لَهَا خَطراً عَظِيماً عَلَى الْمَرْءِ إِذَا لَمْ  
يَسْتَوْقِفْهَا عِنْدَ حَدِّهَا وَيُلْجِمْهَا بِلِجَامِ  
التَّقْوَى وَالْخَوْفِ مِنَ اللَّهِ،  
وَيَأْطُرْهَا- عَلَى الْحَقِّ أَطْراً. قَالَ  
لِقِمَّانِ الْحَكِيمِ لِابْنِهِ: " يَا بَنِيَّ؛ إِنَّ  
الإِيمَانَ قَائِدٌ، وَالْعَمَلَ سَائِقٌ،  
وَالنَّفْسَ حَرُونَ؛ فَإِنَّ فِترَ سَائِقِهَا  
صَلَّتْ عَنِ

الطَّرِيقِ، وَإِنَّ فِترَ قَائِدِهَا حَرَنْتْ فَإِذَا  
اجْتَمَعَا اسْتَقَامَتَا. إِنَّ النَّفْسَ إِذَا  
أَطْمَعَتْ طَمَعَتْ، وَإِذَا فَوَّضَتْ إِلَيْهَا  
أَسَاءَتْ، وَإِذَا حَمَلَتْهَا عَلَى أَمْرِ اللَّهِ  
صَلَحَتْ، وَإِذَا تَرَكْتَ الأَمْرَ إِلَيْهَا  
فَسَدَتْ؛ فَاحْذَرِ نَفْسَكَ، وَاتَّهَمِهَا عَلَى  
دِينِكَ، وَأَنْزِلْهَا مَنْزِلَةً مِنْ لَا حَاجَةَ لَهَا  
فِيهَا، وَلَا بُدَّ لَهَا مِنْهَا. وَإِنَّ الْحَكِيمَ يَذُلُّ  
نَفْسَهُ بِالمَكَارِهِ حَتَّى تَعْتَرِفَ بِالحَقِّ،  
وَإِنَّ الأَحْمَقَ يَخَيِّرُ نَفْسَهُ فِي الأَخْلَاقِ:

فما أحببت منها أحب وما كرهت منها  
كره " (1)

إن هذه الحياة مليئة بألوان  
وأنواع الفتن والشهوات . فكم  
أردت لها من قتيل ، وكم أذهبت من  
صواب حازم لبيب ، وكم ممن كان  
يشار إليه بالبنان هوى \_ بسببها \_  
في مستنقع الخطيئة السحيق .  
إنها مرحلة ابتلاء وامتحان ،  
وصبر ومصابرة " ليميز الله الخبيث  
من الطيب " . كما أنها أيضا مرحلة  
إعداد وتنقية لنفس المؤمن لتؤهله  
لدخول دار النعيم . تلك الدار التي  
لا يدخلها إلا أرباب النفوس التقيّة  
النقيّة . قال صلى الله عليه  
وسلم : " لا يدخل الجنة إلا نفس  
مؤمنة " (1)

---

(1) ذم الهوى ، لابن الجوزي /40

(1) رواه الترمذي من حديث ابن  
عباس /كتاب تفسير القرآن . وصححه  
الألباني في صحيح الترمذي برقم ( 3092 )

إن داراً زَيَّنَّها الله بيديه ،  
وجمَّلها وجبَّرها فكان فيها ما لا  
عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر  
على قلب بشر ؛ إن تلك الدار لا  
يمكن أن تكون كلاً مباحاً لكل  
نطیحة ومتردية من بني آدم ،  
كلا ، إنما هي لأولئك الذين سمت  
نفوسهم إلى ربهم ، فأحسنوا  
العمل في الدنيا ، وأدبوا أنفسهم  
في خدمة سيِّدهم \_ جل شأنه \_ ،  
ومع ذلك فهم في خوف دائم لا  
ينقطع . قلوبهم كقلوب الطير لا  
يأمنون مكر الله ؛ بل هم بين خوف  
ورجاء . إن سمعوا وعيداً ارتعدت  
فرائصهم ، واضطربت جوارحهم  
فَرَقاً وخوفاً من عذاب ربهم " إن  
عذاب ربهم غير مأمونٍ " [ المعارج :  
28 ] ، وإن سمعوا وعُداً كادت  
أرواحهم أن تخرج من أجسادهم  
شوقاً إلى موعود الله ودار كرامته .  
تلك هي نفوس أهل الإيمان ،  
العارفين بالله ، أولئك هم أولياء

الله الذين لا خوفٌ عليهم ولا هم  
يحزنون .  
فكيف لنا أن نصل إلى ما وصلوا  
إليه ؟ إنه سؤال في غاية الأهمية .  
وللجواب عليه يُقال : إن ذلك لا  
يكون إلا بتزكية النفس التي بين  
جوانحنا تزكية صادقة ، ومحاسبتها  
محاسبة جادة لكي نرتقي بها إلى  
مراتب الكمال البشري الذي أمرنا  
بنشدانه وشحذ الهمم للوصول إليه .  
ومن هنا كان لزاماً على كل  
عبدٍ يرجو لقاء ربّه أن يطيل محاسبته  
لنفسه ، وأن يجلس معها جلسات  
طِوالاً؛ فينظر في كل صفحة من  
عمره مضت: ماذا أودع فيها، ويعزم  
على استدراك ما فات ويعدّ العدة  
لسفره الطويل إلى الله - تبارك  
وتعالى - فالقـدوم عليه لا مناص  
منه ولا محيص . ومن عقل وتبصّر  
علم أن بعد هذه الحياة بعثاً وحساباً ،  
ومرتقى صعباً المهبط منه إما إلى  
الجنة وإما إلى النار .



أُخِيَّ إِن أَمَامَنَا كَرِيباً لَهَا  
شَغْبٌ وَإِن أَمَامَنَا أَهْوَالاً  
أُخِيَّ إِن الدَّارَ مَدِيرَةٌ وَإِن كِتَابًا  
نَرَى إِدْبَارَهَا إِقْبَالًا (1)  
ونظراً لأهمية محاسبة النفس ،  
وإسهاماً في إثراء هذا الموضوع الذي  
لا يخفى على لبيب حصيد ضرورة  
طرحه ومدارسته ؛ جاءت كتابة هذه  
السطور في هذه الصفحات الموجزة .  
عسى الله أن ينفع بها كاتبها وقارئها  
وسامعها. وما هي إلا جهد المقل ، فإن  
وُجِدَ فيها من صواب فالفضل فيه لله  
وحده ، فله الحمد في الأولى والآخرة .  
وإن كان من خطأ ونقصان فمن نفسٍ  
مقصّرة وشيطان رجيم ، والله  
ورسوله من ذلك بريئان . وإني لأرجو  
كل قارئ لهذه الرسالة ألا يدّخر  
مناصحة أخيه إن كان ثمة خطأ وقعت  
عينه عليه ، أو نقص يرى إتمامه ، وله  
مني دعوة في ظهر الغيب . والحمد  
لله ربّ العالمين .

---

(1) ديوان أبي العتاهية / 183

عبدالله بن محمد بن  
عبدالله العسكر  
السعودية -  
الخرج  
5/10/1422هـ

سيكون الحديث \_ بمشيئة الله \_  
حول هذا الموضوع في ستة  
مباحث :

- المبحث الأول :
- معنى المحاسبة .
- المبحث الثاني :
- فوائد محاسبة النفس .
- المبحث الثالث :
- فضل المحاسبة وما ورد  
في ذلك من آثار .
- المبحث الرابع :
- كيفية المحاسبة .
- المبحث الخامس :

نماذج من محاسبة السلف  
لأنفسهم .  
المبحث السادس :  
مما يعين على المحاسبة .  
المبحث الأول  
معنى المحاسبة  
في اللغة :

هي صيغة على وزن  
مُفَاعَلَة ، فعلها حَسَبَ .  
وجاء في " المعجم الوسيط  
" : " حاسبه محاسبة ،  
وحساباً : ناقشه  
الحساب . و جازاه " (1)  
ب- أما تعريفها عند العلماء :  
فقد قال الماوردي في  
ذلك : " أن يتصفح الإنسان  
في ليله ما صدر من أفعال

---

(1) المعجم الوسيط 1/171 مادة  
(حَسَبَ)

نهاره، فإن كان محموداً  
أمضاه وأتبعه بما شاكله  
وضاهاه، وإن كان مذموماً  
استدركه إن أمكن وانتهى عن  
مثله في المستقبل " (1)  
وقال ابن القيم - رحمه  
الله -: "هي التمييز بين ماله  
وما عليه ( يقصد العبد )  
فيستصحب ما له ويؤدي ما  
عليه؛ لأنه مسافرٌ سَفَرَ من لا  
يعود" (2)  
وأما الحارث المحاسبي  
فقد عرّفها بقوله : "هي  
التثبّت في جميع الأحوال قبل  
الفعل والترك من العقد  
بالضمير، أو الفعل

(1) أدب الدنيا والدين ، للماوردي/342

(2) مدارج السالكين ، لابن القيم

بالجراحة؛ حتى يتبين له ما  
يفعل وما يترك، فإن تبين له  
ما كره الله - عز وجل - جانبه  
بعقد ضمير قلبه، وكفَّ  
جوارحه عمَّا كرهه الله - عز  
وجل - ومَتَّع نفسه من  
الإمساك عن ترك الفرض،  
وسارع إلى أدائه " (1).

---

(1) التربية الذاتية من الكتاب والسنة  
، لهاشم علي أحمد / 97

## المبحث الثاني فوائد محاسبة النفس

### لمحاسبة النفس فوائد

متعدّدة نذكر منها ما يلي:

1 - الاطلاع على عيوب النفس ونقائصها ومثالبها،  
ومن ثمّ؛ إعطاؤها مكانتها الحقيقية إن جنحت إلى الكبر والتغطرس. ولا شك أن معرفة العبد لقدر نفسه يورثه تذلاًّ لله فلا يُدِلُّ بعمله مهما عظم، ولا يحتقر ذنبه مهما صغر. قال أبو الدرداء: " لا يفقه الرجل كلَّ الفقه حتى يمقت الناس في جنب

الله، ثم يرجع إلى نفسه  
فيكون أشدَّ لها مقتاً" (1)  
وليعلم العبد علم اليقين  
أنه مهما قدّم من طاعات  
وقربات فذاك لا يوازي فضل  
الله عليه ، فالحذر من أن  
يتسلل إلى العبد داء العُجب  
القَتالِ فإنه محبَط للعمل ،  
مسقطٌ من عين الله . ذكر  
الإمام أحمد عن بعض أهل  
العلم أنه قال له رجل : إني  
لأقوم في صلاتي فأبكي حتى  
يكاد ينبت البقل من دموعي .  
فقال له ذلك العالم : إنك أن  
تضحك وأنت تعترف لله  
بخطيئتك خير من أن تبكي  
وأنت مدلُّ بعملك ، فإن صلاة  
الدالِّ لا تصعد فوقه فقال :

---

(1) كتاب الزهد ، للإمام أحمد / 196

أوصني ، قال : عليك بالزهد  
في الدنيا وألا تنازعها أهلها ،  
وأن تكون كالنحلة : إن أكلت  
أكلت طيباً ، وإن وضعت  
وضعت طيباً ، وإن وقعت  
على عود لم تضره ولم  
تكسره. وأوصيك بالنصح لله -  
عز وجل - نصح الكلب لأهله ؛  
فإنهم يجيعونه ويطردونه  
ويأبى إلا أن يحوطهم  
وينصحهم " . (1)

2 - أن يتعرّف على حق الله  
تعالى - عليه وعظيم فضله  
ومنه ؛ وذلك عندما يقارن نعمة  
الله عليه وتفريطه في جنب  
الله ، فيكون ذلك رادعاً له عن  
فعل كل مشين وقبيح ؛ وعند  
ذلك يعلم أن النجاة لا تحصل

---

(1) إغاثة اللهفان ، لابن القيم



إلا بعفو الله ومغفرته  
ورحمته، ويتيقن أنه من حقه -  
سبحانه - أن يُطاع فلا يُعصى،  
وأن يُذكر فلا يُنسى، وأن يُشكر  
فلا يُكفر.

3 - تزكية النفس وتطهيرها  
وإصلاحها وإلزامها أمر الله -  
تعالى - وهذه هي الثمرة  
المرجوة من جزاء محاسبة العبد  
لنفسه. فتزكية النفس عليها  
مدار فلاح العبد ونجاته من  
عذاب الله قال تعالى : ( قَدْ  
أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا (9) وَقَدْ خَابَ مَنْ  
دَسَّاهَا ) [الشمس: 9، 10]  
وقال مالك بن دينار: "  
رحم الله عبداً قال لنفسه:  
ألسنت صاحبة كذا؟ ألسنت  
صاحبة كذا؟ ثم ذمها، ثم

خطمها، ثم ألزمها كتاب الله -  
عز وجل - فكان لها قائداً " (1).  
4 - " أنها تربّي عند  
الإنسان الضمير داخل  
النفس، وتنمّي في الذات  
الشعور بالمسؤولية ووزن  
الأعمال والتصرّفات بميزان  
دقيق هو ميزان الشرع " (2).  
حكى الغزالي أنّ أبا بكر -  
رضي الله عنه - قال لعائشة -  
رضي الله عنها - عند الموت: "  
ما أخذ من الناس أحبّ إليّ  
من عمر " ثم قال لها: "كيف  
قلتُ " ؟ فأعادت عليه ما قال،  
فقال: " ما أخذ أعزّ عليّ من  
عمر " !! يقول الغزالي: "  
فانظر كيف نظر بعد الفراغ

---

(1) إغاثة اللهفان ، 1 / 95

(2) التربية الذاتية / 98

من الكلمة فتدبرها وأبدلها  
بكلمة غيرها " (1).

### المبحث الثالث

#### فضل المحاسبة

وما ورد في ذلك من آثار  
لقد حثَّ الله أهل الإيمان  
على محاسبة نفوسهم  
والتأمل فيما قدّموه لأخراهم  
فقال : ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا

---

(1) إحياء علوم الدين ، لأبي حامد  
الغزالي 4/587

اتَّقُوا اللَّهَ وَلِتَنْظُرُوا نَفْسَ مَا  
قَدَّمْتُمْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ  
خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ( [الحشر:  
18]، قال صاحب الظلال: "   
وهو تعبير كذلك ذو ظلال  
وإحياءات أوسع من ألقاظه،  
ومجرد خطوره على القلب  
يفتح أمامه صفحة أعماله بل  
صفحة حياته ، ويمدّ بصره  
في سطورها كلها يتأملها،  
وينظر رصيده حسابه بمفرداته  
وتفصيلاته لينظر ماذا قدّم  
لغده في هذه الصفحة. وهذا  
التأمل كفيلاً بأن يوقظه إلى  
مواضع ضعف ومواضع نقص  
ومواضع تقصير مهما يكن قد  
أسلف من خير وبذل من  
جهد؛ فكيف إذا كان رصيده  
من الخير قليلاً ورصيده من  
البرّ ضئيلاً؟! إنها لمسة لا

ينام بعدها القلب أبداً، ولا  
يكف عن النظر والتقليب " (1)  
وقال تعالى : ( وَلَا أَفْسِمُ  
بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ) [القيامة]:  
[2] يقول الغرّاء: " ليس من  
نفسٍ برّةٍ ولا فاجرةٍ إلا وهي  
تلوم نفسها إن كانت عملت  
خيراً قالت: هلاً ازددت، وإن  
عملت شراً قالت: ليتني لم  
أفعل " (2) . وقال الحسن في  
تفسير هذه الآية : " لا يُلقى  
المؤمن إلا يعاتب نفسه: ماذا  
أردتُ بكلمتي؟ ماذا أردتُ  
بأكلتي؟ ماذا أردت

---

(1) في ظلال القرآن، لسيد قطب

6/3531

(2) تفسير البغوي 4/421 .

بشررتي؟ والفاجر يمضي  
فُدْمًا لَا يِعَاتِبُ نَفْسَهُ " (1)  
ويقول الله - عز وجل -  
في وصف المؤمنين الذين  
يحاسبون أنفسهم عند الزلّة  
والتقصير ويرجعون عما كانوا  
عليه: (إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا  
مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ  
تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ).  
[الأعراف: 201].

روي عن النبي صلى الله  
عليه وسلم أنه قال : "  
الكيس من دان نفسه وعمل  
لما بعد الموت ، والعاجز من  
أتبع نفسه هواها وتمنى على  
الله " . قال الترمذي : "  
معنى قوله من دان نفسه

---

(1) كتاب الزهد للإمام أحمد/396

**حاسب نفسه في الدنيا قبل  
أن يحاسب يوم القيامة " (1)  
وما أجمل قول الفاروق  
عمر \_ رضي الله عنه \_ في  
عبارته الشهيرة : "حاسبوا  
أنفسكم قبل أن تحاسبوا،  
وزنوها قبل أن توزنوا، وتزيّنوا  
للعرض الأكبر (يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ**

---

(1) سنن الترمذي / كتاب صفة القيامة  
والرقاق والورع رقم ( 2459 ) والحديث  
من رواية شداد بن أوس . قال الترمذي :  
حديث حسن ، وصححه الحاكم . ووافقه  
الذهبي في تصحيح الحديث في أحد  
الموضعين من المستدرک . انظر :  
4/280 . وأمّا في الموضوع الآخر 1/125  
فقد وهن الحديث لأن في إسناده أبا بكر  
بن أبي مریم الغساني ، قال عنه : " لا  
والله ، أبو بكر واه " وانظر : "میزان  
الاعتدال " 4/497 . وقد ضعف الحديث  
الألباني في " مشكاة المصابيح " 3/1454  
، إلا أنه قال : " والحديث في المسند  
بإسناد آخر وهو صحيح " .

لا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ (2)  
" [الْحَاقَّةُ: 18 . وَصَدَقَ رَحْمَهُ  
اللَّهُ - فَإِنَّ الْمَحَاسِبَةَ لِلنَّفْسِ  
فِي دَارِ الدُّنْيَا أَهْوَنُ مِنْ  
مَحَاسِبَةِ اللَّهِ لِلْعَبْدِ فِي يَوْمِ  
تَشْيِيبِ فِيهِ رُؤُوسَ الْوِلْدَانِ .  
فَالْمَحَاسِبُ هُوَ اللَّهُ ، وَكَفَى  
بِاللَّهِ حَسِيبًا . وَالْوَثِيقَةُ الَّتِي  
يُدَانُ بِهَا الْعَبْدُ ( كِتَابٌ لَا يَغَادِرُ  
صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا ،  
وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا  
يُظْلَمُ رَبُّكَ أَحَدًا ) [ الْكَهْفُ : 49 ]

يصف الحسن البصري  
المؤمن بقوله : "المؤمن قوام  
على نفسه يحاسبها لله، وإنما  
خف الحساب على قوم حاسبوا  
أنفسهم في الدنيا، وإنما شق

(2) كتاب الزهد ، للإمام أحمد / 177 ،  
ومدارج السالكين 1/187



الحساب يوم القيامة على قوم  
أخذوا هذا الأمر من غير  
محاسبة<sup>(1)</sup> ويقول ميمون بن  
مهران: "إنه لا يكون العبد من  
المتقين حتى يحاسب نفسه  
أشدّ من محاسبة شريكه"<sup>(2)</sup>  
روي عن الإمام أحمد أن  
وهب بن منبه قال :  
مكتوب في حكمة آل داؤد :  
حق على العاقل ألا يغفل عن  
أربع ساعات : ساعة يناجي  
فيها ربّه ، وساعة يحاسب  
فيها نفسه ، وساعة يخلو فيها  
مع إخوانه الذين يخبرونه  
بعيوبه ويصدقونه عن نفسه ،  
وساعة يتخلى

---

( 1 ) حلية الأولياء ، لأبي نعيم 2/157

(2) الزهد ، لو كيع بن الجراح . تحقيق  
الفريروائي/501

فيها بين نفسه وبين لذاتها  
فيما يحل ويحلم ، فإن في  
هذه الساعة عوناً على تلك  
الساعات ، وإجماماً للقلوب "

(1)

ومن هنا تتضح أهمية  
محاسبة النفس ، وخطورة  
إهمالها من غير محاسبة  
وملاحظة ؛ لأن إهمالها هو  
شأن الغافلين السادرين . قال  
ابن القيم \_ رحمه الله \_ :  
" أضر ما على المكلف الإهمال  
وترك المحاسبة ،  
والاسترسال ، وتسهيل  
الأمر وتمشيئها ؛ فإن هذا  
يؤول به إلى الهلاك ، وهذا  
حال أهل الغرور : يغمض عينيه  
عن العواقب ، ويمشي الحال ،

---

(1) إغاثة اللهفان 1/95

ويتكل على العفو، فيهمل  
محاسبة نفسه والنظر في  
العاقبة ، وإذا فعل ذلك سهل  
عليه مواجهة الذنوب وأنسَ بها  
وعسر عليه فطامها <sup>(1)</sup> .  
ولنستمع إلى هذه  
الكلمات الجميلة لأبي حامد  
الغزالي وهو يصف أرباب  
القلوب المنية وذوي البصائر  
الحيّة فيقول: " فَعَرَفَ أَرْبَابُ  
البصائر من جملة العباد أن  
الله \_ تعالى \_ لهم بالمرصاد،  
وأنهم سيناقشون في  
الحساب ويُطالبون بمثاقيل  
الذّرّ من الخطرات واللحظات،  
وتحقّقوا أنه لا ينجيهم من  
هذه الأخطار إلا لزوم  
المحاسبة وصدقُ المراقبة

---

(1) المصدر السابق 1/98

ومطالبة النفس في الأنفاس  
والحركات، ومحاسبتها في  
الخطرات واللحظات. فمن  
حاسب نفسه قبل أن يحاسب  
خفَّ في القيامة حسابه،  
وحصَّرَ عند السؤال جوابه،  
وحسَّن منقلبه ومأبه. ومن لم  
يحاسب نفسه دامت حسراته،  
وطالت في عرصات القيامة  
وقفائه، وقادته إلى الخزي  
والمقت سينائه " (1)  
إن الأمر شاقٌّ وعسير  
يتطلب من المسلم صبراً  
ومصابرة وطول مجاهدة؛  
فليست النفس سهلة القيادة،  
بل هي صعبة عسيرة إلا إن

---

(1) الإحياء 4/118

(2) قال في القاموس في مادة "طلع"  
" : نفس طلَّعة : تكثر التطلع إلى  
الشيء "

رَوَّضت وَأَلْجَمت بلْجَامِ  
التَّقْوَى . وَهَذَا يَسْتَلْزِمُ أَخْذَهَا  
بِالْحَزْمِ وَالْمَجَاهِدَةِ . قَالَ  
الْحَسَنُ \_ رَحِمَهُ اللَّهُ \_ : "   
اقْرَعُوا هَذِهِ الْأَنْفُسَ ؛ فَإِنَّهَا  
مُطَلَّعَةٌ <sup>(2)</sup> ، وَإِنَّهَا تَنَازَعُ إِلَى شَرِّ  
غَايَةٍ ، وَإِنَّكُمْ إِنْ تَقَارَبْتُمْ لَمْ  
تَبْقَ لَكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا ،  
فَتَصَبَّرُوا وَتَشَدَّدُوا ؛ فَإِنَّمَا هِيَ  
أَيَّامٌ تُعَدُّ ، وَإِنَّمَا أَنْتُمْ رُكْبٌ  
وَقُوفٌ يَوْشِكُ أَنْ يُدْعَى أَحَدُكُمْ  
فَلَا يَجِيبُ وَلَا يَلْتَفِتُ فَاَنْقَلِبُوا  
بِصَالِحٍ مَا بَحَضَرْتُمْ " . <sup>(1)</sup>

#### المبحث الرابع كيفية المحاسبة

---

(1) حلية الأولياء 2/144 ، وذم الهوى  
41/

الحق أنه ليس هناك  
وسيلة محدّدة ذات خطوات  
وأساليب منضبطة في  
كيفية محاسبة النفس؛ وذلك  
لأن النفوس البشرية متباينة  
الطبائع والسجايا؛ لكنّ هناك  
أطراً عامة وخطوطاً عريضة  
يمكن الإشارة إليها  
والاستفادة منها في هذا  
الموضوع. والأمر الذي يجب  
أن يفقهه كل مسلم  
ومسلمة أنه لا بد من الجدّية  
في المحاسبة والحرص  
الشديد على أخذ النتائج  
والقرارات التي يُتوصّل إليها  
بعد ذلك بماخذ العزيمة والجدّ.  
قال الغزالي: " اعلم أن العبد  
كما [ينبغي أن] يكون له وقت  
في أوّل النهار يشارط فيه  
نفسه على سبيل التوصية

بالحق، فينبغي أن يكون له  
في آخر النهار ساعة يطالب  
فيها النفس ويحاسبها على  
جميع حركاتها وسكناتها، كما  
يفعل التجار في الدنيا مع  
الشركاء في آخر كل سنة أو  
شهر أو يوم حرصاً منهم على  
الدنيا، وخوفاً من أن يفوتهم  
منها ما لو فاتهم لكانت  
الخيرة لهم في فواته...  
فكيف لا يحاسب العاقل  
نفسه فيما يتعلق به خطر  
الشقاوة والسعادة أبد  
الآباد؟! ما هذه المساهلة إلا  
عن الغفلة والخذلان وقلة  
التوفيق نعوذ بالله من ذلك "

(1)

ويمكن لنا تقسيم مجالات  
محاسبة النفس إلى نوعين  
اثنين :  
النوع الأول: محاسبة قبل  
العمل:

وهي : أن يقف عند أوّل  
همّه وإرادته، ولا يبادر بالعمل  
حتى يتبيّن له رجحانه على  
تركه . قال الدكتور عمر  
الأشقر: " ينظر في همّه  
وقصده ؛ فالمرء إذا نفى  
الخطرات قبل أن تتمكّن من  
القلب سهل عليه دفعها...  
فالخطرة النفسية والهّم  
القلبي قد يقويان حتى يصبحا  
وساوس، والوسوسة تصير  
إرادة، والإرادة الجازمة لا بد  
أن تكون فعلاً . قال الحسن:  
كان أحدهم إذا أراد أن يتصدّق  
بصدقة تثبت؛ فإن كانت لله



أمضاها، وإن كانت لغيره  
توقف" (1)

وشرح بعضهم قول  
الحسن فقال: " إذا تحرّكت  
النفس لعملٍ من الأعمال  
وهمّ به العبد وقف أولاً ونظر:  
هل ذلك العمل مقدور عليه أو  
غير مقدور عليه؟ فإن لم يكن  
مقدوراً عليه لم يقدم عليه،  
وإن كان مقدوراً عليه وقف  
وقفة أخرى ونظر: هل فعله  
خير له من تركه، أم تركه خير  
له من فعله؟ فإن كان الخير  
في تركه تركه، وإن كان الأوّل  
وقف وقفة ثالثة ونظر: هل  
الباعث عليه إرادة وجه الله -  
عز وجل - وثوابه أو إرادة

---

(1) مقاصد المكلفين فيما يتعبّد به  
لرب العالمين، للدكتور: عمر الأشقر /  
429 " بتصرف "

الجاه والثناء والمال من  
المخلوق ؟ فإن كان الثاني لم  
يقدم عليه وإن أفضى به إلى  
مطلوبه ؛ لئلا تعتاد النفسُ  
الشركَ ويخفَّ عليها العملُ  
لغير الله ؛ فبقدر ما يخفُّ  
عليها ذلك يثقل عليها العملُ  
لله \_ تعالى \_ حتى يصير أثقل  
شيء عليها، وإن كان الأوّل  
وقف وقفة أخرى ونظر: هل  
هو مُعَانٌ عليه وله أعوان  
يساعدونه وينصرونه \_ إذا كان  
العمل محتاجاً إلى ذلك \_ أم  
لا؟ فإن لم يكن له أعوان  
أمسك عنه ، كما أمسك النبيُّ  
-صلى الله عليه وسلم- عن  
الجهاد بمكة حتى صار له  
شوكة وأنصار، وإن وجده

معاناً عليه فليُقدم عليه فإنه  
منصورٌ - بإذن الله " (1)

### النوع الثاني: المحاسبة بعد العمل

وهي على أقسام ثلاثة :  
أ- محاسبتها على التقصير  
في الطاعات في حق الله  
تعالى :

وذلك يكون بأن يديم  
سؤاله نفسه: هل أديتُ هذه  
الفريضة على الوجه الأكمل  
مخلصاً فيها لله وَوَفَّقَ ما جاء  
عن رسول الله - صلى الله  
عليه وسلم-؟ فإن كان  
مقصرًا ، وأينا يسلم من

---

(1) إغاثة اللهفان 1/97

ذلك ؟ فليسدّ الخلل بالنوافل  
فإنها تُرَقِّعُ النقص في  
الفريضة وتربي لدى العبد  
جانب العبادة، وبالمجاهدة  
وكثرة اللوم يخفّ التقصير  
في الطاعات إلى درجة  
كبيرة .

ب - محاسبتها على معصية  
ارتكبتها :

والمعصية هنا تشمل  
الصغيرة والكبيرة . وقد حكى  
ابن القيم أنموذجاً في كيفية  
محاسبة النفس على الوقوع  
في المعصية فقال : " وبداية  
المحاسبة أن تقايس بين  
نعمته - عز وجل - وجناتك ؛  
فحينئذ يظهر لك التفاوت ،  
وتعلم أنه ليس إلا عفوه  
ورحمته أو الهلاك والعطب .  
وبهذه المقايسة تعلم أنّ الرّب

رَبِّ وَالْعَبْدَ عَبْدًا، وَيَتَبَيَّنُ لَكَ  
حَقِيقَةُ النَّفْسِ وَصَفَائِهَا  
وَعَظَمَةُ جَلَالِ الرَّبُّوبِيَّةِ وَتَفَرُّدُ  
الرَّبِّ بِالْكَمَالِ وَالْإِفْضَالِ، وَأَنَّ  
كُلَّ نِعْمَةٍ مِنْهُ فَضْلٌ وَكُلُّ نِقْمَةٍ  
مِنْهُ عَدْلٌ... فَإِذَا قَايَسْتَ ظَهَرَ  
لَكَ أَنَّهَا مَنبَعُ كُلِّ شَرٍّ وَأَسَاسُ  
كُلِّ نَقْصٍ وَأَنَّ حُدُودَهَا: [ أَنَهَا ]  
الْجَاهِلَةُ الظَّالِمَةُ، وَأَنَّه لَوْلَا  
فَضْلُ اللَّهِ وَرَحْمَتُهُ بِتَرْكِيَّتِهِ لَهَا  
مَا زَكَتْ أَبَدًا. وَلَوْلَا إِرْشَادُهُ  
وَتَوْفِيقُهُ لَمَا كَانَ  
لَهَا وَصُولٌ إِلَى خَيْرِ الْبَتَّةِ؛  
فَهَنَّاكَ تَقُولُ حَقًّا: أَبِوَاءُ  
بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ وَأَبِوَاءُ بَدْنِي " .  
(1)

وبعد أن يحاسب نفسه  
هذه المحاسبة ويجلس معها

---

(1) مدارج السالكين 1/188

هذه الجلسة المطوّلة فإنه  
ينتقل إلى الثمرة والنتيجة ألا  
وهي العمل على تكفير تلك  
المعصية، فيتدارك نفسه  
بالتوبة النصوح وبالاستغفار  
والحسنات الماحية والمذهبة  
للسيئات . قال سبحانه : ( إِنَّ  
الْحَسَنَاتِ يُدْهِبُنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ  
ذَكَرَى لِلذَّاكِرِينَ ) [هود:  
114]. فالبدار البدار قبل أن  
يُختم للمرء بخاتمة سوء وهو  
مُصِرٌّ على المعصية ولم يتب  
منها. وليتذكر الحشر والنشر  
وهول جهنم وما أعدّه الله  
للعصاة والفسقة من الأغلال  
والحديد والزقوم والصديد في  
نار قال عنها كعبُ الأحبار -  
رضي الله عنه - : " لو أنه فُتح  
من جهنم قدرٌ منخر ثور  
بالمشرق ورجلٌ بالمغرب

لغلى دماغه حتى يسيل من  
حرّها " (1) أجارنا الله  
والمسلمين منها.  
ومما يساعد في هذا  
الجانب أن يستذكر العبد  
ويستشعر رقابة الحق سبحانه  
عليه ، فإنه لا تخفى عليه  
خافية في الأرض ولا في  
السماء . وحينما تهّم النفس  
بمعاقرة الذنب صغر أم كبر  
فليتذكر المرء أن نظر الله  
إليه أسرع من نظره إلى ذلك  
الذنب . ولو كان العبد في  
جوف داره فإن الله سبحانه لا  
تحجز نظره الأبواب المغلقة ،  
ولا الستر المُرخاة . بل لو  
كان العبد في قعر البحار، أو  
على رؤوس الجبال فإن ربه

---

(1) الزهد للإمام أحمد / 179

يراه ، ويعلم بكل حركة منه  
وسكّنة . (وما تكون في شأن  
وما تتلو منه من قرآن ولا  
تعملون من عمل إلا كنا  
عليكم شهوداً إذ تفيضون فيه  
وما يعزب عن ربك من مثقال  
ذرة في الأرض ولا في  
السماء ولا أصغر من ذلك ولا  
أكبر إلا كتاب مبين ) [يونس :  
61].

فبذلك السبيل وأشباهه  
من المحاسبة يكون المرء  
صادقاً في محاسبته نفسه  
على ارتكاب المعصية  
والذنب . ومن منّا يسلم من  
معاقرة الذنوب والخطايا؟!  
نسأل الله اللطيف  
والتخفيف .

ج - محاسبتها على أمر  
كان تركه خيراً من فعله ، أو



على أمرٍ مباح، ما سبب فعله  
له :

فِيُوجِّه لِنَفْسِهِ أَسْئَلَةً  
مُتَكَرِّرَةً: لِمَ فَعَلْتُ هَذَا الْأَمْرَ؟  
أَلَيْسَ الْخَيْرُ فِي تَرْكِهِ؟ وَمَا  
الْفَائِدَةُ الَّتِي جَنَيْتَهَا مِنْهُ؟ هَلْ  
هَذَا الْعَمَلُ يَزِيدُ مِنْ حَسَنَاتِي؟  
وَنَحْوَ ذَلِكَ مِنَ الْأَسْئَلَةِ الَّتِي  
عَلَى هَذِهِ الشَّكْلَةِ.

وَأَمَّا الْمَبَاحُ فَيَنْظُرُ: هَلْ  
أَرَدْتُ بِهِ وَجْهَ اللَّهِ وَالْدَارِ  
الْآخِرَةِ فَيَكُونُ ذَلِكَ رِيحاً لِي؟  
أَوْ فَعَلْتُهُ عَادَةً وَتَقْلِيداً بِلَا نِيَّةٍ  
صَالِحَةٍ وَلَا قَصْدٍ فِي الْمَثُوبَةِ؛  
فَيَكُونُ فَعْلِي لَهُ مَضِيعَةٌ لِلْوَقْتِ  
عَلَى حِسَابِ مَا هُوَ أَنْفَعُ  
وَأَنْجَعُ؟ ثُمَّ يَنْظُرُ لِنَفْسِهِ بَعْدَ  
عَمَلِهِ لِذَلِكَ الْمَبَاحِ، فَيَلْحَظُ  
أَثْرَهُ عَلَى الطَّاعَاتِ الْآخَرَى مِنْ  
تَقْلِيلِهَا أَوْ إِضْعَافِ رُوحِهَا، أَوْ

كان له أثرٌ في فسوة القلب  
وزيادة الغفلة . فكلُّ هذه  
الأسئلة لا بدَّ منها حتى يسير  
العبد في طريقه إلى الله  
على بصيرة ونور .  
أورد أبو نعيم بسنده عن  
الحسن قوله: " إِنَّ الْمُؤْمِنَ  
يَفْجُؤُهُ الشَّيْءُ وَيَعْجُبُهُ فَيَقُولُ:  
وَاللَّهِ إِنِّي لِأَسْتَهِيكَ، وَإِنَّكَ لَمَنْ  
حَاجَّتِي؛ وَلَكِنْ \_ وَاللَّهِ \_ مَا مِنْ  
صَلَةٍ إِلَيْكَ ، هِيَ هَاتِ ! ! حِيلَ بَيْنِي  
وَبَيْنَكَ . وَيَفْرَطُ مِنْهُ الشَّيْءُ  
[يَقَعُ فِي الْخَطَا] فَيَرْجِعُ إِلَى  
نَفْسِهِ فَيَقُولُ: مَا أَرَدْتُ إِلَى  
هَذَا، وَمَا لِي وَلِهَذَا؟ مَا أَرَدْتُ  
إِلَى هَذَا، وَمَا لِي وَلِهَذَا؟ وَاللَّهِ  
مَا لِي عَذْرٌ بِهَا، وَوَاللَّهِ لَا أَعُودُ  
لِهَذَا أَبَدًا \_ إِنْ شَاءَ اللَّهُ .  
إِنَّ الْمُؤْمِنِينَ قَوْمٌ أَوْثَقَهُمُ  
الْقُرْآنُ وَحَالُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ

هلكتهم، إن المؤمن أسير في  
الدنيا يسعى في فكاك رقبته،  
لا يأمن شيئاً حتى يلقي الله -  
عز وجل - يعلم أنه مأخوذ عليه  
في سمعه وفي بصره وفي  
لسانه وفي جوارحه، مأخوذ  
عليه في ذلك كله " (1)  
وفي الجملة ؛ فلا بُدَّ  
للمسلم من دوام محاسبة  
النفس، ومعاتبتها وتذكيرها  
كلما وقعت منها زلة أو جنحت  
إلى حطام الدنيا الفاني . (2)

(1) حلية الأولياء 2/157 ، ودم الهوى /

40

(2) علَّق فضيلة الشيخ ناصر العمر بعد  
هذا الموطن بقوله: "انتشر في  
أوساط بعض الصالحين\_والشباب  
منهم على وجه الخصوص \_ أسلوب  
في طريقة محاسبة النفس ، وهي  
عبارة عن تصميم ورقة مجدولة تُكتب

ولننظر إلى أنموذج آخر في  
كيفية معاتبة النفس أورده  
الغزالي - رحمه الله - حيث  
يقول: " وسبيلك أن تقبل  
عليها فتقول لها: يا نفس ما  
أعظم جهلك، تدعين الحكمة  
والذكاء والفطنة وأنت أشد  
الناس غباوة وحمقا!! أما  
تدبرين قوله - تعالى -: (اقْتَرَبَ  
لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ  
مُعْرِضُونَ\* مَا يَأْتِيهِمْ مِّنْ ذِكْرٍ مِّن  
رَّبِّهِمْ مُّحَدَّثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ  
يَلْعَبُونَ\* لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ...))

---

فيها بعض الجوانب المراد محاسبة  
النفس عليها ، وربما وُضعت عليها  
درجات يقوّم فيها أحدهم نفسه .  
وهذه الطريقة مُحدّثة لم تُعرف عن  
السلف \_ فيما أعلم \_ ، وهي أقرب إلى  
البدعة ، مع ما تتضمنه من خلل تربوي .  
فليُنْتَبَه لذلك "

[الأنبياء:1،2،3] ويحك يا نفس !  
إن كانت جرأتك على معصية  
الله لا اعتقادك أن الله لا يراك  
فما أعظم كفرك! وإن كان مع  
علمك باطلاعه عليك فما أشد  
وقاحتك وأقل حياءك! ويحك يا  
نفس!! لو كان الإيمان باللسان  
فلم كان المنافقون في الدرك  
الأسفل من النار؟! ويحك يا  
نفس! لا ينبغي أن تغرّك الحياة  
الدنيا، ولا يغرّك بالله الغرور...  
فما أمرك بمهمّ لغيرك، ولا  
تضيّعي أوقاتك؛ فالأنفاس  
معدودة، فإذا مضى عنك نفسٌ  
فقد مضى بعصك. ويحك يا  
نفس! أو ما تنظرين إلى الذين  
مضوا كيف بنوا وعلوا، ثم  
ذهبوا وخلوا؟ اعلمي يا نفس  
بقية عمرك في أيام قصار لأيام

طوال، وفي دار حزن ونصب  
لدار نعيم وخلود " (1)

المبحث الخامس  
نماذج من محاسبة السلف  
لأنفسهم  
إن الهدف من إيراد هذا  
المبحث ما هو إلا التذكير  
فحسب ؛ لأن في إيراد القصة  
أثراً لا يخفى على القارئ  
والسامع . فكيف إذا كانت هذه  
القصص من حياة صفوة الأمة  
وخيارها وهم سلفها الكرام -  
رضي الله عنهم وأرضاهم؟!  
ولا شك أن البحث  
والاستقصاء عن كل ما ورد من  
نماذج رائعة وصور مشرقة  
لمحاسبة السلف الصالح

---

(1) الإحياء 4/605

لأنفسهم يتطلَّب مجهوداً جباراً  
ووقتاً طويلاً؛ وحسبنا هنا أن  
نذكر طرفاً من ذلك موعظة  
وذكرى.

إن أولئك القوم ارتبطت  
قلوبهم بالله؛ فكانوا أجساداً  
في الأرض وقلوباً في السماء،  
وما إن يحصل من أحدهم  
تقصير أو زلة إلا ويسارع في  
معالجة خطئه، ومعاقبة نفسه  
على ذلك؛ حتى لا تكاد تأمره  
إلا بخير. ولعلنا نقتصر هنا على  
بعض النقول العجلى عن  
أولئك النفر الكرام لعلها تحرك  
القلوب، وتشجذ النفوس ،  
وتسهم في تربية المسلم  
لنفسه تربية جادة .

عن أنس بن مالك \_ رضي  
الله عنه \_ قال: سمعتُ عمر بن  
الخطاب \_ رضي الله عنه \_ يوماً

وخرجت معه حتى دخل حائطاً  
فسمعه يقول \_ وبينى وبينه  
جدار \_ : " عمر!! أمير  
المؤمنين !! بخ بخ، والله بُني  
الخطاب لتتقينَّ أله أو ليعذبَنَّك  
" (1)

وجاء رجل يشكو إلى عمر  
وهو مشغول فقال له: "  
أتتركون الخليفة حين يكون  
فارغاً حتى إذا شغل بأمر  
المسلمين أتتموه "؟ وضربه  
بالدرة ، فانصرف الرجل  
حزيناً، فتذكر عمر أنه ظلمه،  
فدعا به وأعطاه الدرّة ، وقال  
له: " اضربني كما ضربتُك "  
فأبى الرجل وقال: تركت  
حقي لله ولك. فقال عمر: "  
إما أن تتركه لله فقط ، وإما

---

(1) الزهد للإمام أحمد/171



أن تأخذ حَقَّكَ " فقال الرجل:  
تركته لله. فانصرف عمر إلى  
منزله فصلَّى ركعتين ثم جلس  
يقول لنفسه: " يا ابن  
الخطاب: كنتَ وضعياً فرفعك  
الله، وضالاً فهداك الله،  
وضعيفاً فأعزَّك الله، وجعلك  
خليفةً فأتى رجلٌ يستعين بك  
على دفع الظلم فظلمته؟!  
ما تقول لربِّك غداً إذا أتيتَه؟  
وظلَّ يحاسب نفسه حتى  
أشفق الناس عليه " (1)  
وقال إبراهيم التيمي: "  
مثَّلتُ نفسي في الجنة أكل من  
ثمارها وأشرب من أنهارها  
وأعانق أبقارها، ثم مثَّلتُ  
نفسي في النار أكل من  
زقومها وأشرب من صديدها

---

(1) مناقب أمير المؤمنين عمر بن  
الخطاب ، لابن الجوزي /171

وأعالج سلاسلها وأغلالها،  
فقلت لنفسي: يا نفس أيّ  
شيء تريدان؟ فقالت: أريد أن  
أردّ إلى الدنيا فأعمل صالحاً!  
قلت: فأنت في الأمانة فاعملي  
" (2)

---

(2) الزهد للإمام أحمد / 501

(1) ذم الهوى / 41 ، وهنا ملاحظ  
ينبغي إيراده : وهو أن هذه الطريقة  
في المحاسبة التي فعلها الأحنف  
ليست بالأولى والأتم ؛ بل هو من  
اجتهاده \_ رحمه الله \_ وإلا فقد تُهينا  
عن تعذيب أنفسنا كما جاء في  
الصحيحين من حديث أنس في قصة  
من نذر أن يحج ماشياً ، قال عليه  
السلام في شأنه : " إن الله لغنيٌّ عن

(50)

وحكى صاحب للأحنف بن  
قيس قال: كنتُ أضحُّهُ فكان  
عامَّةُ صلَّاته بالليل، وكان  
يجيءُ إلى المصباح فيضع  
إصبعه فيه حتى يحسُّ بالنَّار  
ثم يقول لنفسه: " يا  
حنيف! ما حملك على ما  
صنعت يوم كذا؟ ما حملك  
على ما صنعتَ يومَ كذا؟ " (1)

كان عمر بن عبدالعزيز  
شديد المحاسبة لنفسه قليل  
الكلام، وكان يقول: " إنه  
ليمنعني من كثير من الكلام  
مخافة المباهاة " (1)

---

تعذيب هذا نفسه " .

(1) سير أعلام النبلاء للذهبي 5/137

(51)

وُنُقِلَ عَنْ ابْنِ الصُّمَّةِ :  
أَنَّهُ جَلَسَ يَوْمًا لِيَحَاسِبَ نَفْسَهُ  
فَعَدَّ عَمْرَهُ فَإِذَا هُوَ ابْنُ سِتِينَ  
سَنَةً، فَحَسِبَ أَيَّامَهَا فَإِذَا هِيَ  
وَاحِدٌ وَعِشْرُونَ أَلْفًا  
وَخَمْسَمِائَةَ يَوْمٍ؛ فَصَرَخَ وَقَالَ:  
" يَا وَيْلَتِي! أَلْقَى الْمَلِكُ بَوَاحِدٍ  
وَعِشْرِينَ أَلْفَ ذَنْبٍ! فَكَيْفَ  
وَفِي كُلِّ يَوْمٍ عَشْرَةَ أَلْفِ  
ذَنْبٍ " !!؟ ثُمَّ خَرَّ فَإِذَا هُوَ  
مَيِّتٌ!! فَسَمِعُوا قَائِلًا يَقُولُ:  
يَا لِكِ رَكُضَةٍ إِلَى الْفَرْدُوسِ  
الْأَعْلَى. (2) يَقُولُ الْغَزَالِيُّ  
مَعْلَقًا عَلَى هَذِهِ الْقِصَّةِ : "  
فَهَكَذَا يَنْبَغِي أَنْ يَحَاسِبَ  
(الْعَبْدُ) نَفْسَهُ عَلَى الْأَنْفَاسِ،  
وَعَلَى مَعْصِيَتِهِ بِالْقَلْبِ  
وَالْجَوَارِحِ فِي كُلِّ سَاعَةٍ. وَلَوْ  
رَمَى الْعَبْدُ بِكُلِّ مَعْصِيَةٍ حَجْرًا  
فِي دَارِهِ لَامْتَلَأَتْ دَارُهُ فِي

مدة يسيرة قريبة من عمره،  
ولكنه يتساهل في حفظ  
المعاصي؛ والملكان يحفظان  
عليه ذلك ( أَحْصَاهُ اللَّهُ  
وَتَسُوهُ... ) " [المجادلة: 6] (1)  
وقال عبد الله بن قيس :  
كنا في غزاة لنا فحضر العدو،  
فصيح في الناس فقاموا إلى  
المصاف في يوم شديد الريح،  
وإذا رجل أمامي وهو يخاطب  
نفسه ويقول: أي نفسي! ألم  
أشهد مشهد كذا فقلت لي:  
أهلك وعيالك؟! فأطعتك  
ورجعت! ألم أشهد مشهد كذا  
فقلت لي: أهلك وعيالك?!  
فأطعتك ورجعت! والله  
لأعرضنك اليوم على الله أخذك  
أو تركك. فقلت: لأرمقنك  
اليوم، فرمقته فحمل الناس

(1) الإحياء 4/589

(53)

على عدوهم فكان في  
أوائلهم، ثم إنَّ العدو حمل على  
الناس فانكشفوا (أي هربوا)  
فكان في موضعه، حتى  
انكشفوا مرات وهو ثابت  
يقايل؛ فوالله ما زال ذلك به  
حتى رأيته صريعاً، فعددتُ به  
وبدأته ستين أو أكثر من ستين  
طعنة " (1).

المبحث السادس  
مما يعين على المحاسبة  
هناك بعض الأمور تعين  
المرء على المحاسبة لنفسه ،  
بحيث إذا تأملها وتملاها جيداً  
كانت خير معين له على أن  
يبادر ويسارع إلى أطر نفسه  
وإيقافها عند أمر الله ونهيه .

---

(1) الإحياء 4/591

فمن ذلك ما ذكره ابن القيم \_  
رحمه الله \_ حيث  
قال : "ويعينه على هذه  
المراقبة والمحاسبة أنه كلما  
اجتهد فيها اليوم استراح  
منها غدا إذا صار الحساب إلى  
غيره . وكلما أهملها اليوم  
اشتد عليه الحساب غدا .  
ويعينه أيضا : معرفته أن ربح  
هذه التجارة سكنى الفردوس  
، والنظر إلى وجه الرب  
سبحانه ، وخسارتها دخول  
النار والحجاب عن الرب  
تعالى .

فإذا تيقن هذا هان عليه  
الحساب اليوم ، فحق على  
المؤمن بالله واليوم الآخر أن  
لا يغفل عن محاسبة نفسه  
والتضييق عليها في حركاتها  
وسكناتها وخطراتها

وخطواتها ، فكل نفس من  
أنفاس العمر جوهرة نفيسة  
لا حظ لها يمكن أن يشتري  
بها كنز من الكنوز لا يتناهى  
نعيمه أبد الآباد . فإضاعة هذه  
الأنفاس ، أو اشتراء صاحبها  
ما يجلب هلاكه : خسران  
عظيم لا يَسمح بمثله إلا  
أجهلُ الناس وأحمقُهم  
وأقلهم عقلاً . وإنما يظهر له  
حقيقة هذا الخسران يوم  
التغابن ( يوم تجد كل  
نفس ما عملت من خير  
محضراً وما عملت من سوء  
تودُّ لو أن بينها وبينه أمداً  
بعيداً ) " [ آل عمران : 30 ]  
(1)

---

(1) إغاثة اللهفان 1/96



ويحسن التنبيه هنا عل  
أمر يعين على المحاسبة وهو  
أن يحرض المسلم على  
تخصيص وقت محدّد يحاسب  
فيه نفسه ، وإن كان ذلك  
ليس شرطاً في هذا الباب  
فإن المسلم رقيب على  
نفسه في كل وقت ؛ لكن  
ذكر بعض العلماء أن تخصيص  
وقت قبل النوم من كل ليلة  
من أحسن الأوقات للمحاسبة

قال الماوردي : " عليه  
أن يتصفّح في كل ليلة ما  
صدر من أفعال نهاره ، فإن  
الليل أخطر للخاطر وأجمع  
للفكر " (2)

---

(2) أدب الدنيا والدين / 342

وقال ابن القيم : " ومن  
أنفعها أن يجلس الرجل  
عندما يريد النوم ساعة  
يحاسب فيها على ما خسره  
وربحه في يومه ، ثم يجدد له  
توبة نصوحاً بينه وبين الله ،  
فينام على تلك التوبة ،  
ويعزم على ألا يعاود الذنب  
إذا استيقظ ، ويفعل هذا كلَّ  
ليلة ، فإن مات من ليلته مات  
على توبة ، وإن استيقظ  
استيقظ مستقبلاً للعمل  
مسروراً بتأخير أجله حتى  
يستقبل ربه ويستدرك ما  
فات " (1)

ونختم موضوع رسالتنا  
هذه بالتذكير بقضية مهمّة  
وهي : أنه لا بد من أن يكون

---

(1) الروح ، لابن القيم /79

المرء صادقاً في محاسبته  
لنفسه . وتعتمد المحاسبة  
الصادقة على أسس ثلاثة  
ذكرها الإمام ابن القيم \_  
رحمه الله \_ وهي: الاستنارة  
بنور الحكمة ؛ وسوء الظنِّ  
بالنفس ، وتمييز النعمة من  
الفتنة .

فأما نور الحكمة ؛ فهو  
العلم الذي يميِّز به العبد بين  
الحقِّ والباطل، وكلما كان  
حظُّه من هذا النور أقوى كان  
حظُّه من المحاسبة أكمل  
وأتمّ .

وأما سوء الظنِّ بالنفس؛  
فحُتَّى لا يمنع ذلك من البحث  
والتنقيب عن المساوئ  
والعيوب.

وأما تمييز النعمة من  
الفتنة؛ فلأنه كم مُسْتَدْرَج

بالتَّعم وهو لا يشعر، مفتون  
بثناء الجهّال عليه، مغرور  
بقضاء الله حوائجه وستره  
عليه ! (1)

ورحم الله إمام أهل  
السنة والجماعة الإمام أحمد  
حين فقه هذا الأمر العظيم ،  
فلم يغتر أو يزهو بثناء الناس  
عليه ومدحهم له ؛ بل عدّ ذلك  
فتنة له وامتحانا. وذاك هو شأن  
العارفين بالله .

حكى الذهبي عن  
المروزي قال: قلت لأبي عبد  
الله [ يعني الإمام أحمد ]: قدم  
رجلٌ من طرسوس فقال: كُنَّا  
في بلاد الروم في الغزو إذا  
هدأ الليل رفعوا أصواتهم

---

(1) مدارج السالكين 1/188 " بتصرف

بالدعاء لأبي عبد الله، وكنا نمدُّ  
المنجنيق ونرمي عن أبي عبد  
الله . وقد رُمي عنه بحجرٍ  
والعلاج على الحصن مُتَّرسُّ<sup>(1)</sup>  
بذَرَقته<sup>(1)</sup> فذهب برأسه  
والدَّرَقَةُ !! قال: فتغيَّر وجه  
أبي عبد الله وقال: " ليتَه لا  
يكون استدراجاً " <sup>(2)</sup> ، والحمد  
لله الذي بنعمته تتم  
الصالحات .  
وصلَّى الله وسلَّم على محمدٍ  
وأله وصحبه .

(1) الدَّرَقَةُ : التُّرس من جلد ليس فيه  
خشب . ( المعجم الوسيط : 1/281 )  
(2) السير 11/210

